مجلة الرائد

العدد : ٢١٩ الموافق في محرم ١٤٢١ هجري ٥ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : الغرب الذي نعيش فيه هل نفهمه ؟ (٤)	بقلم : أ. متولي موسى

قبل الإجابة على السؤال المطروح لا بد لي في نقاط محدودة من محاولة بيان مدى انطباق المقومات المحددة لشخصية مجتمع ما على الغرب ، ثم الخروج بخلاصة لطرحها على كل مسلم يعيش في الغرب ليحدد بنفسه أو مع من يفكر معه من المسلمين مدى فهمه لهذا الغرب الذي يعيش فيه !

***أولاً* : المقومات التي تحدد هوية المجتمع الغربي :**

◆ من خلال الدراسة تبين أن المنظومة الغربية المعاصرة تقوم على :

① سلطة التشريع ووضع منهج الحياة حق للإنسان ، ونتج عن ذلك :

(١) تحكيم العقل البشري في سن القوانين واختيار النظم الإدارية .

(٢) العقل البشري وحده صاحب الحق في تحديد منهج الحياة .

② وترتكز المنظومة الغربية على ركيزتين متكاملتين هما :

(١) الفرد هو محور فلسفة الحياة ، وبناء عليه فإن الحرية الفردية التي لا تحدها حدود ، هي القاعدة التي تستند إليها جميع مؤسسات المجتمع .

(٢) تقوم الدولة الحديثة في الغرب على أساس : وجود مجموعة أفراد هم الشعب ، على أرض لها حدود معترف بها من جيرانها ، وسلطة مدنية منتخبة من الشعب وفق آلية « الديمقراطية الحديثة » ، تسهر على تطبيق منظومة القوانين والنظم التي سنتها الهيئة التشريعية المنتخبة وتحت مراقبتها .

◆ يخرج المحلل لهذا الواقع الغربي بتحديد أهم المقومات التي تبرز هوية المجتمع الغربي على النحو الآتي :

❶ فصل الدين عن الدولة .. أو اتباع مبدأ " العلمانية " ، مع حصر حق التدين في النطاق الفردي وبما لا يتعارض مع مبدأ الدولة أي " العلمانية " .

❷ اعتماد منظومة أخلاقية واجتماعية صادرة عن الحرية الفردية ، و" المساواة بين الرجل والمرأة " ، و" اعتماد إعلان حقوق الإنسان " ، والسعي لتحقيق " عدم التدخل في شؤون الدول " ، واحترام " حقوق الأقليات وحق تقرير الشعوب لمصيرها " .

❸ حرية الفكر وتكوين أحزاب سياسية ليس على أساس الدين ، وبشرط اعتماد مبدأ وقواعد المنظومة الغربية .

❹ اعتماد اقتصاد السوق الحر ، وحرية التجارة وتحرك رأس المال من خلال قواعد العولمة .

❺ اعتماد آلية " الديمقراطية الحديثة " في تكوين الهيئة التشريعية واحترام مبدأ تداول السلطة .

◎ ◎ ◎

ثانياً : تمَّ التذكير بأهم الحقائق والقيم والموازين التي تبرز شخصية المجتمع ، بملامحه التي أرادها خالق الكون والإنسان والتي ظهر منها ما يأتي :

① الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الخالق سبحانه وتعالى .

② اختلاف البشر على دعوة الرسل فمنهم من آمن ومنهم من كفر .

③ تقوم الحياة على سنة التدافع بين الحق والباطل .

④ الولاء والبراء لا بد أن يكون في الله تعالى وليس لعرق أو عصبية من العصبيات البشرية .

⑤ الحفاظ على الحياة ورعاية علاقات صلة الرحم .

⑥ ضرورة تسديد الفكر وترشيد العواطف بما يضبط الهوى والشهوات .

⑦ تبصير الإرادة في تعامل الإنسان مع الكون والإنسان وخالق الكون والإنسان

⑧ إتمام مكارم الأخلاق والاستقامة عليها .

⑨ الصدور عن العدل المطلق والرفق في الأمور والعفو عند المقدرة ، ومراقبة الله عزَّ وجلَّ وتحديد المواريث وفق ما يريد الحق سبحانه .

◎ ◎ ◎

***ثالثاً* : مدى التوافق بين ما ورد في أولاً وثانياً :**

بمقارنة ما سبق يتبين أن الغرب يرفض الوحي الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ولم ينتفع حتى بما ثبت عنده أن فيه الخير للإنسان والمجتمع ، مم ترتب عليه :

❶ رفض الإيمان بالله تعالى وعدم إفراده عزَّ وجلَّ بما يختص به ، فما أنزل الله تعالى الكتب وكلف الرسل ليقولوا للناس أن الله تعالى موجود ومتصف بصفات الكمال والجلال وفقط ، وإنما طالبت البشر بتوحيد العبادة والاعتقاد بحق التشريع لله عزَّ وجلَّ وحده ، فنحن لا نعبد إلا الله عزَّ وجلَّ ، ولا نعبد الله سبحانه إلا بما شرع .

❷ لم يستفد الغرب من الوحي الذي أنزله الله تعالى لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، بل اتهمه أصحاب الرأي والفكر بأنه يتضمن تطبيقاً لأعمال بربرية وحشية ، ويحد من حرية الإنسان ، ويحجر عليه في فكره وسلوكه ؛ وربما كان السبب في ذلك عدم معرفة هؤلاء بالإسلام الحق كما أنزله الله تعالى ، أو بسبب رؤية تطبيقات لا علاقة لها بالإسلام الذي جاء به الوحي !!

❸ ليس للغرب مرجعية ثابتة يرجع إليها في تحديد القيم والموازين ، أو الضوابط التي تحدد منظومة الحياة ، فكل تحكيم لغير الخالق سبحانه في تلك الشؤون إنما هو اغتصاب لحقه سبحانه في التشريع ، وما حدث أثناء محاكمة رئيس الولايات المتحدة في فضيحته الجنسية مع المتدربة في البيت الأبيض من مهازل ، وما يحدث في ألمانيا هذه الأيام لمعالجة فضيحة الحزب الديمقراطي ورئيسه السابق « هلموت كول » ، ليعد أكبر دليل على ذلك .

❹ اعتبار ما وصل إليه الغرب من إنجازات في مجالات الحياة المختلفة هو الصورة المثلى ، والسعي لفرض ذلك على الجهات التي لم تأخذ بها من خلال الوسائل المتنفذة في بلاد العالم سياسياً واقتصادياً بل وعسكرياً إذا لزم الأمر !!

❺ ما يحدث في أوروبا تجاه المسلمين وما يحدث خارج أوروبا على المسلمين حتى في بلادهم ، يؤكد أن جهات اتخاذ القرار في الغرب ترى في الإسلام خطراً على المنظومة الغربية ، واعتقادهم أو شعورهم بأن ظهور الإسلام يهدد مصالحهم ، والاعتقاد أن استيقاظ الفطرة البشرية ، وانقشاع الغشاوة عن عيون المضللين والمستعبدين ، ربما يدفعهم إلى الانتفاضة ضد الظلم والطغيان والتسلط والجبروت ، الذي يهيمن هذه الأيام تحت ستار العولمة والانفتاح العالمي .

◎ ◎ ◎

***رابعاً* : نتائج قائمة ومتوقعة بسبب ما ذكر في ثالثاً :**

لقد ظهرت في السنوات العشر الأخيرة نتائج المقدمات التي تراكمت على الزمن ، ونسلط الضوء على أهمها :

١) سعى الغرب من خلال إذكاء حروب محلية وإقليمية إلى تحقيق أكبر قدر من رفاهية الشعوب الغربية اقتصادياً ، وبتحمله لأقل الخسائر ، وكان ذلك على حساب إخراج عدد من الشعوب الإسلامية من أرضها سواء كانت في الغرب أو خارجه ، والمتأمل لما حدث مع الشعب المسلم في البوسنة والهرسك وفي كوسوفا وفي فلسطين ، يتبين له أن شعارات « حقوق الإنسان » و « حق الشعوب في تقرير مصيرها » .. الخ متجاوزة ، بل وصل الأمر إلى حد التواطؤ - الظاهر - في محاولة إبادة شعب بأكمله كما هو الحال الآن في محاولة إبادة الشعب الشيشاني .

٢) تعرضت بعض الأقليات الإسلامية للضغوط التي يسعى من خلالها إلى فقدها لهويتها الإسلامية ، بل وحتى منعها من حقوقها التي تقرها الدساتير الغربية ، والزعم بأن الأغلبية تشعر بالتهديد وعدم الارتياح لوجود المسلمين بمظاهرهم الإسلامية في الغرب ، ويكفي أن يتابع الإنسان بعض المحاكمات التي حدثت في فرنسا بشأن الحجاب وأخيراً في ألمانيا بشأن منع أخت مسلمة ذات كفاءة من العمل في مقاطعة في جنوب ألمانيا لأنها تضع الخمار على رأسها !!

٣) لقد توفر في الغرب كثير من أسباب ووسائل الرفاهية الاقتصادية ، ووسائل الاستمتاع لملأ أوقات الفراغ ، ولكنه عاجز كلياً أو نسبياً عن علاج المشكلات التي تتزايد في صورة ازدياد المرضى

بازدياد المرضى بالأمراض النفسية والعصبية ، فضلاً عن انتشار تعاطي المخدرات ، وازدياد معدل الجريمة والجنوح عند الشباب ، وغير ذلك من المشكلات الاجتماعية .

٤) تشير المقدمات وما وقع من أحداث إلى أن العداء للإسلام سيزداد في مقبلات الأيام ، وصدق الشاعر :

كل العداوات قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين

ولقد نبه القرآن الكريم إلى أن أصحاب الملل والنحل المنحرفة لا يرضون عن الموحدين المؤمنين برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ حتى يرتدوا عن دينهم ، ولا يكفيهم أن يسكت المؤمنون عن إثم الآثمين وباطلهم ، وحتى لو داهنوهم ، فهم لا يرضون عنهم إلا إذا تخلّوا عن عقيدتهم وقبلوا بالمنظومة الغربية .

◎ ◎ ◎

***خامساً* : ماذا علينا معشر المسلمين أن نصنع ؟**

لما كان الصراع بين المؤمنين وغير المؤمنين هو صراع هوية ، أي : التمسك بالعقيدة الصحيحة وتطبيقها في الحياة هدياً ظاهراً ، والمولاة والمعاداة على أساسها ، ظهر أن هذا الصراع صراع مبدأ وواسطة ومعاد ، فإذا تساهل المسلمون وانسلخوا عن عقيدتهم ، صاروا مع غير المؤمنين في عباداتهم وأخلاقهم وسلوكهم شيئاً واحداً ، ولم يعد هناك تميز بين المسلمين وغير المسلمين ، وعليه فلا بد للمسلمين من :

① الشعور باختلاف المبدأ والوجهة والطريق والمنهج . قال تعالى : { **أفنجعل المسلمين كالمجرمين ۞ ما لكم كيف تحكمون** } ؟ [القلم : ٣٥-٣٦] ونتذكر ما أرشدنا الله تعالى إليه في قوله على لسان شعيب عليه السلام : { **قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها** ...} [الأعراف : ٨٩] .

② لا بد أن يأخذ المؤمن بأسباب استطعام طعم الإيمان وتذوق حلاوته ، وكراهية أن يعود في

الكفر - بعد إذ أنقذه الله منه - كما يكره أن يلقى في النار ، وهذا الذي أرشد إليه رسول الله ﷺ في قوله : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله ، ومن يكره أن يعود في الكفر ، بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار) رواه البخاري : كتاب الإيمان .

③ الدخول مع أهل الفكر والرأي في حوار من منطلق قول الله تعالى : { **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** } [آل عمران : ٦٤] ، وعلى أساس : { ... **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** } [النمل : ٦٤] .

④ اتخاذ الأسباب للثبات على الإيمان بالله تعالى ، وعدم التوجه إلى ربٍّ سواه ، وعدم التماس الحاجات عند غيره ، إذ كل من سواه مربوب لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، وأن يعلم المسلم يقيناً أنه لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن ينفعوا أحداً بشيء ،لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله تعالى له ، ولو اجتمعوا على أن يضروه ، لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليه ، ويدرك معنى قول الشاعر :

أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا تشعبت الأمور
تركت اللات والعُزَّى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير

وأخيراً أيها القارىء الكريم بعد أن أدركت ما سبق ، يمكنك أن تجيب بنفسك على السؤال المطروح : الغرب الذي نعيش فيه .. هل نفهمه ؟!

والله تعالى أسأل التوفيق والسداد